

مُلخص كتاب: مهد الإسلام، البحث عن الهوية الحجازية

تأليف: مى يمانى، دار الساقى



قام بإعداد الملخص / أحمد الباز

شبكة رؤية الإخبارية

عنوان الكتاب: مهد الإسلام، البحث عن الهوية الحجازية

تأليف: مى يماني ، دار الساقى، النسخة العربية، ط1- 2005، 253 صفحة .

### النقاط الرئيسية

- أدى المشروع التوحيدي الذى قام به آل سعود النجديين إلى فرض معايير نجدية فى السلوك الإقتصادي والسياسى والثقافى، والدينى فى جميع أنحاء المملكة، بعد إندثار حكم الهاشميين الذى دام ألف عام فى الحجاز.
- يعتبر الحجازيون أنفسهم منتمون لثقافة البحر الاحمر المتميزة عن الثقافة الخليجية النجدية
- تنقسم العوائل الحجازية المركزية إلى ثلاث فئات (الأشرافن المطوفون، التجار، العلماء)
- قامت الكاتبة بتعريف أنها مراحل العبور إلى ومن الحياة الحياة، فقد أشارت إلى الطقوس التى يتبعها الحجازيون أثناء الولادة، والزواج، والوفاة، والتى حاولت العوائل الحجازية الإحتفاظ بها بعد الوحدة، وفى ظل الإفتتاح بعد الثروة النفطية لاحقاً
- كان لحضور الحجاج إلى مكة، وذهاب الكثير من أبناء الحجازيين للخارج، عظيم الأثر فى تعزيز الطابع المدني المنفتح للمطبخ الحجازى وتمييزه عن المطبخ النجدى البدوى، وكذلك الرى الحجازى الذى شهد تطوراً عبر العصور.
- لا يمكن التنبؤ بمصير الإنمط المتباينة بين الحجازيين والنجديين فى المستقبل، إلا أن الأمر الاكيد هو أن بعض النجديين يعتقدون حتى الان أن الحجازيين لا يزالون يحتلون موقع الريادة فى العربية السعودية. اما الحجازيون فيعتقدون أن النجديين قد يستمرون فى إحتكار النفوذ السياسى، إلا أنهم سيضطرون فى المستقبل للإعتماد على المهارات التى يكتسبها الحجازيون من أجل إدارة البلاد.

## الفصل الأول: تعريف الحجاز، جذور المقاومة الثقافية

تستمد منطقة الحجاز تسميتها من كونها الحجاز الذي يُشكله الجرف الكبير المرتفع جنوباً مثل جدار خلف مكة، والممتد بموازاة الساحل وصولاً إلى اليمن، ومناطقه الرئيسية حالياً هي ( مكة المدنية، الطائف، جدة)، وعقب تأسيس المملكة العربية السعودية 1936 شكل الحجاز القسم الغربي من أقسام المملكة الاربعة، إلى جانب عسير في الجنوب، نجد في الوسط، الأحساء في الشرق. وقد أدى المشروع التوحيدي الذي قام به آل سعود النجديين إلى فرض معايير نجدية في السلوك الإقتصادي والسياسي والثقافي، والديني في جميع أنحاء المملكة، بعد إندثار حكم الهاشميين الذي دام ألف عام في الحجاز.

في الوقت الذي كان النجديون يتألفون بشكل رئيسي من البدو والأميين، كانت الجرائد تصدر في الحجاز( صحيفة القبلة)، وبها مدارس متعددة، بينما تأسست أول جريدة نجدية( اليمامة) في الخمسينات.

منذ عام 1910 بدأ الصراع يشتد بين الملك الحسين حاكم الحجاز، وبين عبدالعزيز آل سعود، حتى إستطاع السيطرة على مكة في أكتوبر 1924، ودخل عبدالعزيز آل سعود المدينة بملابس الحج، وغاد الحرسين الحجاز نحو العقبة ثم نقله البريطانيون إلى قبرص، بينما توجه ابنه على إلى بغداد، لينتهي الحكم الهاشمي على الحجاز.

لم يحاول عبدالعزيز آل سعود دمج مملكة الحجاز مرة واحده في مملكة نجد، لانه يدرك أنها دولة مركبة ومتطورة ، فعين ابنه فيصل نائباً له في الحجاز، وبدا العلماء الوهابيون في تهمة المذاهب الاخرى وهدموا المراكز الدينية التي اعتبروها غير اسلامية، إلا أنه ظهرت محاولة لتطليف هذا الوضع بعد مشادات بين حجاج مصريين ووهابين.

في عام 132، صدر مرسوم بضم كل أجزاء المملكة تحت سلطة دولة عُرفت بالمملكة العربية السعودية نسبة إلى إسم العائلة... ولطالما إعتبر الحجازيون أنفسهم شعباً مختاراً من نوع ما، وسعوا للحفاظ على هويتهم الثقافية المدنية، خصوصاً إزاء التهميش الثقافي الذي قام به السعوديون، حيث تم شطب اسم الحجاز من كل الأوراق الرسمية، وباتت هذه المنطقة تعرف بالمنطقة الغربية

## الفصل الثاني: العوائل الحجازية والمحافظة على الهوية الحجازية

يعتبر الحجازيون أنفسهم منتمون لثقافة البحر الاحمر المتميزة عن الثقافة الخليجية النجدية، ومن خلال إعادة إحياء طقوس المجتمع القديم - الإحتفالات وسهرات السمر والأعياد- تستعيد العوائل الحجازية بشكل متعمق فترة الحكم الهاشمي. إلا أن هذه الطقوس تتم في داخل المنازل، ويعود ذلك إلى أن ممارسة هذه الإحتفالات يعتبر تحدياً للقوانين الرسمية.

إن المنازل الفاخرة المتميزة بتصاميمها وزخارفها الفنية إنما توحى بالثقافة المخرنية العريقة، حيث تم إعادة إحياء الأثر الهندسي الحجازي أثناء فترة الثروة النفطية، ممزوجاً ببعض الأساليب الهاشمية والمصرية والتركية.

من الشائع أن يدعى أفراد العوائل تحدرهم من قريش، قبيلة النبي محمد، مثل الأشراف الهاشميين. إلا أنه وفي الواقع، يتحدر معظم الحجازيين من الحجاج الذين إستقروا في مكة والمدينة بعد زمن النبي بفترة طويلة ولا يربطهم أى نسب بقبيلة قريش أو بالأشراف، بالإضافة إلى إختلاط الأنساب في الحجاز على مر القرون. إلا أن محاولات تعزيز القرابة بين العوائل الحجازية جاء كردة فعل إزاء سلطة عائلة آل سعود الحاكمة ومكانتها، بالإضافة إلى تزايد أعداد أفرادها، فولاء البدوى يكون لقبيلتهن بينما ولاء الحجازي يكون لأسرته الأبوية.

لقد تزايد إعتبار المال كأداة لتعزيز المكانة الإجتماعية والثقافة الحجازية مع نمو الثروة النفطية. فالمال بالنسبة للعوائل الحجازية قادر على تشريع الأصول، كما أنه ضروري لبلوغ المستوى التعليمي بالإفتتاح المديني، وضروري أيضاً لتمظاهرات الإحتفالات الدينية كمولد النبي وإحتفالات اخرى. بينما نجد أن العائلات التي لم تستطع التحصل على فائض مالى جراء الثروة النفطية، فغنها الاخرى تحتفظ بقيمتها من خلال التلويح بالأصول التاريخية.

تستقبل النساء الزوار بشكل منتظم، إلا أن جلسائهن لا تتخذ تسمية كمجالس الرجال، ويفترض بالمرأة الحجازية التي تنتمي إلى العوائل الحجازية إقامة سهرات تستقبل خلالها عددا من الزوار ويفضل أن تحيي السهرة غحدى المطربات الاصيلات.

## الفصل الثالث: اليقظة السياسية في أواسط العوائل الحجازية

كانت العوائل الحجازية قبل توحيد المملكة السعودية تنقسم إلى أربع مجموعات رئيسية ، وهي :

1- الأشراف ( أى عائلات النخبة السياسية الحاكمة)، ففي ظل الحكم العثماني مثل الأشراف الهاشيون السلطة الرسمية المعترف بها في الحجاز، وتمتعوا بالعديد من الإمتيازات المادية مقابل السهر على حماية الأماكن المقدسة، وكان لهم زيهم الخاص رجالاً ونساءً، إذ يرتدى الرجال العقال وينتعلون الصنادل ويضعون خنجراً. أما النساء فكن يرتدين سراويل بيضاء مع قميص طويل وسترة قصيرة، طويلة الأكمال. لم يكن يغطين وجوههن، ويضعن وشاحاً أبيض لتغطية رؤوسهن، فتظهر صفائهن الطويلة من تحته.. ولم يكن الأشراف ميالين للحياة العسكرية المتقشفة بقدر ميلهم لنمط العيش المدني المفتوح.

2- المطوفون: ( أى مرشدى الحجاج)، لم تكن هذه المهنة نحظى بالمكانة المرموقة، إلا أن المطوف الذى كان يقيم علاقات طويلة الأمد مع الحجاج الأثرياء، كان يحظى بدرجة أكبر من الإحترام، ومن بين كل المهن كانت مهنة المطوف هى الأكثر أهمية، لأن المدينة كانت تعتمد إقتصادياً وإجتماعياً وسياسياً على الحج وإيراداته... وكان كل أفراد العائلة يشاركون فى هذه المهنة بما فيهم النساء اللواتى يعددن الطعام وينظفن مساكن الحجاج... إلا أن زيادة أعداد الحجيج ساهم فى عدم قدرة المطوفون على السيطرة على هذا العمل، بالإضافة إلى تدخل الدولة للسيطرة على هذا النوع من التجارة من خلال شركات مختلفة، لم يكن للحجازيين نصيب منها.

3- العلماء: أى مدرسى الشريعة، وهى من أشرف المهن وأرفعها، وكان من أبرز العلماء فى الحجاز من خرية جامع الازهر، وغالباً ماكان العالم الحجازى يتقن عدة لغات. وتميز العلماء الحجازيون بزيهم الخاص، فكانوا يربطون عمامتهم بطريقة فريدة، وملابسهم من قماش قطنى أبيض ويضعون حزاماً رفيعاً. وبعد ان تم السيطرة على الحكم من آل سعود، فإنه وبعد دعوة موجهة من عبدالعزيز آل سعود للعلماء الحجازيون، فإنهم اعترفوا بتوافق العقيدة الوهابية مع الشريعة الإسلامية، سعياً منهم للتعايش مع هذه الحركة، خصوصاً بعد مجزرة الطائف التى إرتكبها الجيش الوهابى 1924، حيث قتل الوهابيون

مئات السكان الذين إعتبروهم هراطقة.. ومنذ ذلك الوقت تم إعاقة الحجازيين من المشاركة في الحياة الدينية من خلال العضوية في هيئة كبار العلماء، بحجة أن عقيدتهم مخالفة.

4- البيوت التجارية: كانت كل عائلة تجارية تملك سفينة أو حصة في إحدى السفن، وأدت هذه العلاقات التجارية إلى خلق روابط بين الحجاز وباقي أنحاء العالم الإسلامي، إلا أن الحجاز عانى تدهوراً تجارياً منذ بداية الحكم السعودي في الثلاثينات. أحد أسباب هذا التدهور كان نقل العائدات الضريبية من الحج إلى النظام الجديد، وبعد رفض التعامل بعملات دولية، وحل محلها الريال السعودي.

#### الفصل الرابع: طقوس العبور ( الولادة وإحتفالاتها )

يجب الحكم على أهمية الولادة ضمن سياق المجتمع الحجازي الذي تشكل العائلة فيه الوحدة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية المسيطرة، على غرار المجتمعات الأبوية، حيث تتعزز قوة العائلة وحيويتها مع كل ولادة جديدة.

على الرغم من أن الأسماء التي يختارها الحجازيون هي أسماء مسلمة وعربية في غالبيتها، إلا أنهى مكن تمييزها بسهولة عن الاسماء النجدية، وخاصة أسماء أفراد العائلة الحاكمة.. لقد راجت أسماء البنات العربية التي يسهل لفظها في الغرب مثل ( لانا، رنان ندى) خلال الخمسينات، إلا أن الثمانينات شهدت عودة الاسماء التقليدية والإسلامية. يميل الحجازيون أيضا إلى اختيار أسماء أفراد أسرة النبي، مثل علي، حسنن الحسين، حمزة، عثمانن عائشة، خديجة، امنه، فاطمة.

## الفصل الخامس: طقوس العبور ( الزواج والمكانة الإجتماعية)

من أبرز العناصر التي تجدر الإشارة إليها في هذا النطاق هو بروز ما يمكن وصفه ( قبلنة) علاقات الزواج بين الحجازيين، خلافاً للعادات الماضية التي كانت تسمح بزواج المسلمين من غير العرب، حيث يتم الزواج اليوم ضمن نطاق المجتمع الحجازي. كما أن المعايير التي تحدد الغنتماء إلى المجتمع الحجازي تزداد صرامة حين يتعلق الأمر بالزواج. من شأن ذلك توفير درجة أكبر من الإستقلالية الحجازية عبر مختلف التغيرات الثقافية.

لم تفرض الدولة السعودية أية قيود غضافية في ما يخص بالرجال، فقد ظل مسموحاً لهم الزواج من النساء المسيحيات واليهوديات، كما كانت التقاليد الإسلامية تقتضى. إلا أن التطويرات والتغييرات التي شملت الاعراف القديمة تثبت رغبة الدولة السعودية العامة في إدخال مبادئ جديدة عن التنظيم الإجتماعي، مستمدة من التقاليد النجدية القبلية. حيث يحتم القانون السعودي اليوم على المرأة الزواج فقط من مواطن سعودي، أما الإستثناءات التي تحدث نادراً ما تحدث، وتتطلب إذناً خاصاً.

يشتمل الزفاف اليوم على ليلة واحدة للرجال، وهي " الملكة"، وليلة واحدة مخصصة للنساء، وهي " الدخلة"، وأصبح المهر رمزياً فقط، في حدود 10:15 ريال فضة.

شبكة رؤية الإخبارية

## الفصل السادس: طقوس العبور ( الوفاة، الإثبات الأخير)

يتم التجهيز للدفن، وتدفن المرأة عادة مع عائلة المنشأ، وكانت مجالس التعزية الحجازية تستمر على مدى فترة طويلة. وهناك العديد من المظاهر التي لا تختلف كثيراً عن الوضع العادي.

## الفصل السابع: التعلق بفنون اللباقات الإجتماعية ( فن المحادثة فى أوساط العوائل الحجازية)

تميل العائلات الحجازية العريقة للإعتقاد بانها الوحيدة الخيرة فى أداب المجتمع وسلوكياته. لذا، فهي تنظر بشيء من الإزدراء إلى الأسر التي اصابتها الثروة بشكل مفاجيء، إذ لم يتسن لها الوقت من خلال جيل واحد لإكتساب أداب التصرف. فيقال عنها " أنها وإن ملكت المال والسلطة، فهي تجهل كيفية التصرف".

إستطاعت العوائل الحجازية من خلال تشديدها على أصول المحادثات الرسمية، إلى غلقاء المزيد من الضوء على ماكانت تعتبر نقطة قوتها وسمتها الخاصة التي تميزها عن عائلات العربية السعودية الاخرى: وهي تستند إلى خلفية مدنية مرهفة، فتخولها التاكيد على حسنها بالنفوق الإجتماعى على النجديين الذين يفتقرون إلى مثل هذه الجذور الثقافية المرهفة.

للبيت الحجازى تصميم معين، وأسواء تعطيه طابع الخصوصية، وتتم دعوة الضيوف إلى المنزل فإوقات محددة من الأسبوع الذى ينقسم إلى قسمين: السبت إلى الأربعاء أى ايام العمل، وهو مخصص لزيارة غير الأقارب. اما عطلة نهاية الأسبوع، الخميس والجمعة، فتخصص للعائلة.

هناك العديد من العبارات التي تستخدمها العوائل الحجازية فى الترحيب واستقبال الضيوف.

شبكة رؤية الإخبارية

## الفصل الثامن: التعلق بفنون اللباقات الإجتماعية ( الإصرار على المطبخ التقليدى)

كان لحضور الحجاج إلى مكة، وذهاب الكثير من أبناء الحجازيين للخارج، عظيم الأثر فى تعزيز الطابع المدنى المنفتح للمطبخ الحجازى وتمييزه عن المطبخ النجدى البدوى.

ولا تزال بعض الأطباق محتفظة حتى اليوم بأسمائها التي تدل على أصلها الأندونيسي او الهندى أو الإيراني او المصرى أو التركى، مثل الحلوى الهنيدة " اللدو" ، والارز البخاى.



تتميز عدة أحداث يطبق واحد، أو مجموعة من الأطباق الخاصة، ثمة وجبات خاصة لمختلف المناسبات الدينية،  
فرمضان له أطباقه، ونزول الحجيج بمنى.

يُشكل الطعام مؤشراً للمكانة الاجتماعية يميز النخبة عن باقي فئات المجتمع، ويدعم مكانة أفرادها كوجهاء أو  
أعيان الناس، فالمكانة الاجتماعية، ترتبط بالتجميل وتبييض وجه العائلة.

### الفصل التاسع: التعلق بفنون اللباقات الاجتماعية ( الزى الحجازي )

تحول الزى إلى وسيلة مهمة للتعبير عن المكانة والهوية الاجتماعية، وبعد الوحدة السعودية، جرت محاولات حثيثة  
لتشجيع التلاحم الوطني والتجانس، مما أدى إلى فرض الزى النجدى في الأماكن العامة.

بيد ان التباينات المنطقية لا تزال قائمة، ففسير على سبيل المثال قد إحتفظت بزيتها الحلى وحافظ على درجة  
من الإستقلال، بينما سكان البادية فإن أولان ملابسهم تبدو أكثر حدة ويفضلون درجات الأحمر والبرتقالى  
والأصفر والأخضر... إلا أنه وفي النهاية أصبحت مختلف أشكال الزى الحجازى التى كانت شائعة قبل توحيد  
المملكة أصبحت اليوم أشبه بتحف قديمة. كما تمتعت النساء الحجازيات بحرية نسبية فى إختيار ملابسهن، وذلك  
للدائرتين الخاصة والجماعية.

يمكن التمييز بين ثلاث مراحل رئيسية فى تغير الزى الحجازى الرسمى، تعود المرحلتان الأولتان إلى فترات الإفتتاح  
وتشيران إلى تزايد قرب العربية السعودية من الأسواق العالمية، فى حين أن المرحلة الثالثة تعكس أثر التحجيز فى  
هذه الاسواق، وتم التعايش مع الإفتتاح، حيث علق نيكولاس كولريديج على هذه المسألة قائلاً ( فى الفترة  
الممتدة بين 1976-1986، إعتنق الذوق الإسلامى موضحة الغرب).

لا يمكن التنبؤ بمصير هذه الأنماط في المستقبل، إلا أن الاتجاهات العامة التي يُتوقع أن تسود في الأمد المتوسط واضحة إلى حد ما. فالأنماط العامة للدمج والتميز ستظل سائدة تماماً، مثل خصوصية حياة العوائل، والفوارق الأساسية التي تميز بين الدوائر العائلية والجماعية والعامة.

من المرجح أن تخضع أنماط التفاعل للتغيير، وسيستجلى الدمج الوطني والغفليمي والدولي بأوضح صوره في مختلف الحقول التي تتأثر بالتجارة والأعمال والاتصال، ومن المرجح أن يتم إتخاذ المستوى العلمي في المستقبل كمعيار لتحديد أهلية الإنتماء إلى النخبة الحجازية.

بيد أن ثمة توجه ملفت نحو الدمج الإقليمي والتماهي الثقافي مع الغرب في مختلف منطقة الخليج. كما أن تزايد نسبة السفر وتطور وسائل الإتصال وإنخفاض كلفتها تعزز هذا التوجه.

قد يتطور تحصيل العلم ليصبح شكلاً من أشكال المنافسة بين الحجاز ونجد، حيث يعتقد بعض النجديين حتى الان أن الحجازيين لا يزالون يحتلون موقع الريادة في العربية السعودية. اما الحجازيون فيعتقدون أن النجديين قد يستمرون في إحتكار النفوذ السياسي، إلا أنهم سيضطرون في المستقبل للتعتماد على المهارات التي يكتسبها الحجازيون من أجل إدارة البلاد.